3.1.3 - أسباب التجريبية عند إبراهيم مصطفى

هذه أهمّ مظاهر التجريبية كما تتجلى عند صاحب إحياء النحو ونريد الآن أن نفسّر أسبابها. وبعض هذه الأسباب يعود إلى دواع اجتماعية داخلية نتجت عن حركة النهضة وبعضها الآخر إلى نشأة علم اللسانيات وتطوره.

كان من أهمّ مظاهر التجريبية التي لاحظناها عند صاحب إحياء النحو ثقل مشاغل التدريس وهواجسه التطبيقية على صياغة نقده للتراث النحوي وتوجيه فرضياته (الضمنية) حول العلم عامّة والدراسة اللّغوية بصفة خاصّة. وهو أمر يجد تفسيره في حاجة اجتماعية ولّدتها النهضة. هي قضية التعليم ونشره وما استلزمته من مقتضيات أهمّها (فيما يخصّنا) ملاءمة التراث النحوي لمقتضيات التدريس على نحو يخالف السنن المتّبعة في معاهد التعليم التقليدية كجامع الأزهر أو جامع الزيتونة.

ظهرت البوادر الأولى لهذا الداعي مع طلائع النهضة وظهور المدارس الجديدة. واقترن أوّل كتاب يروم على نحو ما تيسير النحو لغاية تعليمية برائد من روّاد حركة النهضة ورمز من رموز هذه البعثات العلمية التي أرسل بها محمد علي للأخذ عن الغرب وهو رفاعة الطهطاوي الذي تولى أيضا تأسيس مدرسة الألسن سنة 1835 لتكوين المترجمين ومدرّسي العربيّة إلى جانب جامع الأزهر وقد ألّف كتاب «التحفة المكتبية في تقريب العربية». وتواصل هذا النوع من التأليف ذو الغاية العملية في رحاب المؤسسات التعليمية الجديدة التي أحدثت تلبية لهذه الحاجيات الحديثة ونهض بها مدرسون فيها أو خريجون منها.

من ذلك أن الأستاذ حسين المرصفي المدرس في دار العلوم ألف سنة 1871 الوسيلة الأدبية لعلوم العربية. ومن الهامّ أن نشير إلى أنّه لم يكن كتاب نحو وصرف فقط بل تناول أيضا ما يمكّن المتعلّم من إتقان العربية كالبلاغة والأدب. ثم